AFAQ LUGHAWIYYAH
© PENERBIT UNIVERSITI SULTAN ZAINAL ABIDIN
https://journal.unisza.edu.my/afaq
e-ISSN: 2990-9007

الإرهاب والغزو الفكري في الشعر الاجتماعي العالمي في بلاد يوربا، نيجيريا

[TERRORISMS AND INTELLECTUAL INVASION IN GLOBAL SOCIAL POETRY IN YORUBA, NIGERIA]

Ahmad Abubakar Agbaje

Department of Arabic and Islamic Studies, College of Arts and Education, Fountain University, Osogbo, Nigeria

Corresponding Author: *ahmadagbaje68@gmail.com*

Received: 25/1/2025 *Accepted: 17/2/2025* *Published: 31/3/2025*

ملخص

تناول الشعراء اليورباويون الشعر العربي بأغراضه المعروفة – القديمة – وتمكنوا من الإحاطة بأهمها. في هذا العصر الحديث عدد من الشعراء في بلاد وعالجوا في أشعارهم قضايا اجتماعية معاصرة، لم تقتصر على المستوى الإقليمي فحسب، بل امتدت إلى المستوى العالمي وانطلاقًا من هذا، ارتأى الباحث جمع القصائد التي تناولت القضايا الاجتماعية الحديثة. وقد خلص البحث إلى عدة نتائج، من أبرزها قدرة شعراء بلاد يوربا على توظيف الشعر العربي النيجيري في خدمة رسالة اجتماعية، لم تقتصر على المستوى الوطني فحسب، بل امتدت إلى المستوى العالمي."، وكفاءتهم العلمية التي أهَّلتهم لأداء هذه المسؤولية الاجتماعية على الوجه الأفضل، وجودة شعرهم العربي حتى صار ضمن الآداب المعترف بها عالميا. اعتمد الباحث في دراسته على منهجين، هما التحليلي والتاريخي.. وبالمنهج التحليلي، يقوم الباحث بتحليل كل عمل، مستخرجًا القيم الاجتماعية المتضمنة في الشعر العربي المرتبط بالواقع. أما المنهج التاريخي، فيهدف إلى دراسة النصوص الأدبية في سياقها التاريخي، مع تسليط الضوء على الوقائع المرتبطة بها.

الكلمات المفتاحية: القضايا الاجتماعية، الشعر العربي، شعراء بلاد يوربا، الإرهاب العالمي، الغزو الفكري

Abstract

Yoruba poets have demonstrated a profound engagement with classical Arabic poetry, mastering its core themes and traditional elements. In the contemporary era, poets from the Yoruba region of Nigeria have expanded their focus beyond regional concerns to address pressing global social issues through their poetic expressions. This study aims to compile and analyze poetry that reflects modern social realities and transcends geographical boundaries. The findings of this research highlight the exceptional ability of Yoruba poets to integrate Nigerian Arabic poetry as a medium for conveying socially relevant messages on an international scale. Their academic expertise has enabled them to articulate complex social narratives with depth and precision, thereby positioning their works within the broader framework of global literature. To achieve these objectives, the study employs two primary research methodologies: analytical and historical. The analytical approach examines individual poetic works to extract the embedded social values that mirror real-life experiences, while the historical method contextualizes these literary texts within their respective historical backgrounds, shedding light on the events and influences that shaped their creation. This research underscores the intellectual contributions of Yoruba poets to global literary discourse, illustrating their role in bridging cultural and linguistic traditions while addressing contemporary social challenges.

Keywords: *social issues, Arabic poetry, poets of the Yoruba land, global terrorism, ideological invasion*

Cite as: Agbaje, A. A. (2025). al-Irhab wa al-Ghazw al-Fikri fi al-Shi'r al-Ijtima'i al-'Alami fi Bilad Yoruba, Nigeria. *Afaq Lughawiyyah*, *3*(1), 105-133. https://doi.org/10.37231/afaq.2025.3.1.161

© Penerbit Universiti Sultan Zainal Abidin, 2026. This work is licensed under the terms of the Creative Commons Attribution (CC BY) (http://creativecommons.org/licenses/by/4.0

الشعر الاجتماعي وتطوره عند العرب

الشعر الاجتماعي يتناول قضايا المجتمع بشيء من التفصيل. فبهذا يبرز الداء ويصف الدواء يضخِّم الداء حتى تحس به الأمة فتستأصله من جسدها كما يستأصل المرض الخبيث من الجسم العليل. والشعر الاجتماعي كما ذكر سابقا، هو الذي يتناول حياة الناس العادية اليومية كالعدالة الاجتماعية والفقر والعمل والأمراض الاجتماعية والآفات الخلقية ومشاكل المرأة والعمال والتعليم والدين[1]

فالآتية طبعا، من أهم الأسباب التي جعلت الشعراء في العصر الحديث يهتمّون بالشعر الاجتماعي:

كثرة المشاكل وتنوّعها.

وتفاعل الشعراء مع محيطهم وإحساسهم بمشاكل المجتمع.

وإدراك الشعراء لدورهم الفعّال في تحذير المجتمع من مغبّة التردّي والانحطاط ودفعه نحو السمو.[2]

أنواع الشعر الاجتماعي

١- شعر اجتماعي تقريري يعتمد على تصوير الواقع الاجتماعي بأسلوب مباشر من خلال الكشف عن العيوب والإشارة إلى سبل الإصلاح." شعر اجتماعي رمزي: يعالج المشكلات الاجتماعية بأسلوب غير مباشر من خلال الرمز والإيحاء، كما هو الحال في قصائد إيليا أبي ماضي

٢- شعر اجتماعي ثوري: يحرّض على مواجهة الفقر والظلم الاجتماعي، ويدعو إلى التغيير الجذري من خلال التمرد على الأوضاع السائدة.".[3]

وأخيرًا، كان للشعر الاجتماعي تأثيرات جوهرية على المجتمعات العربية، إذ ساهم في كشف الحقائق، وتوعية الأفراد، والمساهمة في تشكيل وعي نقدي تجاه التحديات التي فرضها الواقع الاجتماعي والتحولات الفكرية. ونقول إنه كان للشعر الاجتماعي انعكاسات هامة على المجتمعات العربية حيث ساهم في توضيح الحقائق وتنوير الدروب وانتشال العرب من بحر الضياع وأوحال المدنية : "مما ساهم في تكوين وعي مجتمعي يواجه التحديات التي تهدد قيمه وهويته ولغته ودينه.وقد أسهم شعراء الإصلاح والتنوير في إيقاظ الوعي الاجتماعي، مؤمنين بدورهم في التعبير عن قضايا الأمة ومناصرة الحق من خلال أشعارهم.

الشعر الاجتماعي في بلاد يوربا

تُعدّ قبيلة يوربا من أكبر القبائل في نيجيريا المعاصرة، وقد استوطنت مساحات واسعة من أراضي ولايات أوغن، وأوندو، وأويو، ولاغوس، فضلاً عن الجزء الأكبر من ولاية كوارا. كما ينتشر عدد كبير من أبناء قبيلة يوربا في الجنوب الغربي لجمهورية بنين، التي كانت تُعرف سابقًا بالداهومي. وهذه المناطق المذكورة شكّلت ما كان يُعرف ببلاد يوربا قبل التقسيم الأوروبي لإفريقيا.

الشعر الاجتماعي هو ذلك النوع من الشعر الذي يتناول مشكلات المجتمع ويعالجها، مثل الجهل والفقر والعادات والتقاليد، حيث يقوم الشاعر بتشخيص هذه المشكلات وتحليلها، محاولًا إبراز محاسنها إن وُجدت، والتنفير من مساوئها من خلال الإقناع القائم على كشف الحقائق وتعريتها. كما قد يتناول هذا النوع من الشعر مفهوم بناء المجتمع نفسه وكيفية نشأته، ويهدف بذلك إلى أمرين رئيسيين: الأول تقديم العبرة والموعظة الحسنة، والثاني وضع نماذج يُحتذى بها في البناء والتكوين."[5]

لم يدخر شعراء يوربا جهدًا في إثراء الشعر العربي ذي الطابع الاجتماعي، حيث لم يقتصر إبداعهم على معالجة قضايا مجتمعاتهم المحلية فحسب، بل تعدّى ذلك إلى التفاعل مع القضايا الاجتماعية العالمية عبر أشعارهم المتنوعة.

قد تدفع بعض المناسبات، سواء كانت شخصية أو قومية أو دولية، الشاعر إلى التعبير عن مشاعره من خلال القصيدة. وقد يجد الشاعر نفسه مدفوعًا للنظم في حالات معينة، مثل تلقيه هدية ثمينة من أمير، كبيت من الشعر أو فرس، مما يدفعه إلى التعبير بالشعر كردّ جميل. غير أن مثل هذا النظم قد يُقيّد الشاعر أحيانًا، إذ يجد نفسه مُلزمًا بحدود معينة تمنعه من إطلاق العنان لخياله الشعري بشكل كامل: "وفي مثل هذا النظم، نجد تسجيلًا أدبيًا لتلك المناسبة، يظهر من خلاله تمكن الشاعر في صياغة الألفاظ والتعابير بأسلوب يتناسب مع طبيعة الحدث.[6]

وفي مثل هذا النظم، نجد تسجيلًا أدبيًا لتلك المناسبة، يظهر من خلاله تمكن الشاعر في صياغة الألفاظ والتعابير بأسلوب يتناسب مع طبيعة الحدث:

بدأت باســـم إلـــه الـــورى له الحمد والشكر طول المدى

صلاة ســـلام عـــلى سيد الـــ ـخلائق قطـعا هو المصطفى

دعـــانا الإلـــه بقـــــــرآنه إلى حفظ ست بحق دعـــــا

إلى حفظ دين ومـــال وعرض وجســم ونســل ومنــها نهى

بلا تفســدوا الأرض فاعتبروا معانيــها تعرفــوا ما حــوى

ليدخــلنا الــدار دار الســـلام مع المفلحـــين وأهــل التــقى

أيا شارب الخمر تب عن قريب ففيها العيـــوب وضعف الدمى

تكن مفلحا صالحا شـــــاكرا لنعـــــمة مولاك رب العـــــــلى

ومن لم يزل شارب الخمر في دناه إلى الموت يصـــــلى اللظى[8]

الظواهر الاجتماعية العالمية في الشعر العربي في بلاد يوربا

وفقًا لموسوعة إنكارتا (ENCARTA)، تُعدّ الظواهر الاجتماعية أحد أقدم فروع علم الاجتماع، وتشمل قضايا مثل الزواج، والأسرة، والظلم الاجتماعي، والعلاقات العرقية، والانحرافات السلوكية، والمجتمعات الحضرية، والمنظمات الرسمية أو المعقّدة، والتي لم تكن تُدرس في السابق بشكل مستقل تحت أي علم من العلوم الاجتماعية.[9] تشير الظواهر الاجتماعية إلى أنماط وأساليب العمل الإنساني التي يعتمدها الأفراد في حياتهم اليومية، وتشمل العلاقات الأسرية، والمعاملات الاقتصادية، والأوضاع السياسية، والممارسات الدينية، والمعايير الأخلاقية، وغيرها من الجوانب الاجتماعية التي تؤثر في بنية المجتمع.[10]

تنقسم الظواهر الاجتماعية إلى قسمين رئيسيين: ظواهر سلبية وظواهر إيجابية. تشمل الظواهر السلبية الفساد، والبطالة، والأمية، وانتشار الرشوة، وتعاطي المخدرات، والعنف، والإرهاب. أما الظواهر الإيجابية فتشمل اللغة، والدين، والتمسك بالقيم الأخلاقية، وانتشار التعليم، وغيرها من العوامل التي تعزز استقرار المجتمع.[11]

يقع على عاتق المختصين في الشأن الاجتماعي، سواء كانوا علماء اجتماع أو وعّاظًا أو مرشدين أو مصلحين اجتماعيين، مسؤولية رصد الظواهر الاجتماعية وتحليلها ضمن سياق حركة المجتمع. فإذا كانت الظاهرة إيجابية، وجب دعمها وتشجيع استمراريتها في النسيج الاجتماعي. أما إذا كانت ظاهرة سلبية، فينبغي انتقادها والتحذير من مخاطرها، مع تقديم البدائل القيمية والأخلاقية التي يمكن أن تسهم في معالجتها والتقليل من تأثيرها السلبي.".

أدرك الشعراء في بلاد يوربا أهمية دورهم في معالجة الظواهر الاجتماعية، فتصدى كثير منهم لرصد المشكلات الاجتماعية السلبية وتشخيصها، مقدمين رؤى علاجية مستوحاة من المبادئ الإسلامية. وقد جاء ذلك انطلاقًا من تعاليم الإسلام التي تحثّ على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، كما في قوله تعالى: 'كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر...'، وفي حديث النبي صلى الله عليه وسلم: 'من رأى منكم منكرا فليغيره بيده فإن لم يستطع فبلسانه وإن لم يستطع فبقلبه فذلك أضعف الإيمان'"[13] وقد ركّز العديد من شعراء يوربا على تناول أخطر الظواهر الاجتماعية السلبية في عصرنا الحالي، ومن أبرزها ظاهرة الإرهاب العالمي، التي سنتناولها بشيء من التفصيل في المبحث التالي.".

الإرهاب في الشعر الاجتماعي العالمي في بلاد يوربا

الإرهاب ظاهرة عالمية عانت منها مجتمعات عديدة، وذاقت ويلاته واكتوت بنيرانه، وما زالت تعاني من آثاره السلبية في عصرنا الحديث. وقد امتد خطره ليشمل العالم بأسره، فلم يعد أي شعب بمنأى عن هذا التهديد، إذ لا يميز الإرهاب بين صغير أو كبير، ولا بين رجل أو امرأة، بل يحصد أرواح الأبرياء دون تمييز، متسببًا في مآسٍ إنسانية لا حصر لها.[14]

"الإرهاب شر محض، وآثاره خراب وألم، وتبعاته فساد وتدمير للمجتمعات. أما الإرهابي، فهو غالبًا شخص ذو فكر منحرف ونفس مضطربة، تحكمه دوافع عدائية تجاه مجتمعه والإنسانية بأسرها، ويعيش في حالة من العداء المستمر مع الاستقرار والتقدم يُعد تعريف الإرهاب من أكثر المفاهيم إثارة للجدل، حيث تعددت التعريفات واختلفت المصطلحات في محاولة لتحديد معناه. وعلى الرغم من الجهود المبذولة في وضع تعريف دقيق وشامل، إلا أنه لم يتم التوصل إلى حد جامع مانع لحقيقته، مما جعل المصطلح محل اختلاف واسع وفقًا لوجهات النظر السياسية والقانونية والاجتماعية المختلفة. ولكي نعرف أن كل ما ذكر من تعاريف للإرهاب لم تكن كافية لتحديد مفهومه تحديدا لا يختلف فيه أحد، وسأذكر نماذج مما قيل في تعريف الإرهاب.

- الإرهاب هو الأعمال التي من طبيعتها أن تثير لدى شخص ما الإحساس بالخوف من خطر ما بأي صورة.
- الإرهاب يكمن في تخويف الناس بمساعدة أعمال العنف.
- الإرهاب هو الاستعمال العمدي والمنتظم لوسائل من طبيعتها إثارة الرعب بقصد تحقيق أهداف معينة.
- الإرهاب عمل بربري شنيع.
- هو عمل يخالف الأخلاق الاجتماعية ويشكل اغتصابا لكرامة الإنسان.[15]

عند تحليل هذه التعريفات، نجد أنها لا توفر جميعًا تعريفًا دقيقًا جامعًا مانعًا للإرهاب، حيث إن كل تعريف يفتقر إما إلى الشمولية أو إلى الدقة في التمييز بين الإرهاب وغيره من الأفعال المشروعة. ويرجع هذا الاختلاف أساسًا إلى تباين مصالح الدول وأيديولوجياتها، حيث تصيغ كل جهة تعريفًا يتماشى مع سياستها ومواقفها الخاصة. ومن أبرز الأمثلة على التباين في تعريف الإرهاب قضية فلسطين، حيث يتعرض الفلسطينيون منذ أكثر من خمسين عامًا لأعمال القتل والتشريد وهدم المنازل على يد الاحتلال الصهيوني، ومع ذلك، تُبرَّر هذه

الممارسات على أنها دفاع عن النفس، بينما يُنظر إلى مقاومة الفلسطينيين، حتى لو كانت بالحجارة، على أنها عمل إرهابي، مما يعكس ازدواجية المعايير في تفسير المفهوم.[16]

فمنذ أكثر من (٥٠ سنة) والصهاينة يسومون الفلسطينيين سوء العذاب من قتل وتشريد وتدمير وهدم للبيوت على أهلها ويعتبر هذا العمل في نظر الصليبيين في أمريكا وأوربا دفاعا عن النفس وما يقاوم به هؤلاء المضطهدون بالحجارة ونحوها يعتبر إرهابا وعنفا.[17]

قدّم الشيخ حمود بن عقلاء الشعيبي في مقالته 'معنى الإرهاب وحقيقته' تعريفًا شاملًا للإرهاب، حيث تناول المفهوم من منظور لغوي وشرعي، ساعيًا إلى تقديم تعريف جامع مانع يوضح الفارق بين الإرهاب المذموم والإرهاب المشروع وفق التصور الإسلامي. والتعريف كالآتي:

أما من حيث اللغة فالإرهاب مصدر أرهب يرهب إرهاباً من باب أكرم وفعله المجرد (رَهِب) والإرهاب والخوف والخشية والرعب والوجل كلمات متقاربة تدل على الخوف إلا أن بعضها أبلغ من بعض في الخوف وإذا تتبعنا هذه المادة في القرآن الكريم مادة رَهِبَ أو أرهب وجدناها تدل على الخوف الشديد قال تعالى (وإياي فارهبون) أي خافوني , وقال تعالى (ويدعوننا رغبا ورهبا) أي طمعا وخوفا، وقال تعالى (وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم) أي تخيفونهم.

وقال ابن جرير : حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة (واضمم إليك جناحك من الرهب) أي من الرُعب وهذا التفسير للرَّهب بالرعب يدل على أن الرعب مرادف للرّهب وأن معناهما الخوف الشديد يؤيد هذا قوله صلى الله عليه وسلم: (نصرت بالرعب مسيرة شهر) أي بالخوف هذا نموذج مختصر لبيان معنى الإرهاب في لغة العرب.[18]

من الناحية الشرعية، ينقسم الإرهاب إلى قسمين:

١. إرهاب مذموم: وهو محرم شرعًا ويُعد من كبائر الذنوب، حيث يتمثل في الاعتداء على الآمنين، سواء كان ذلك على مستوى الدول، أو الجماعات، أو الأفراد. ويشمل هذا النوع من الإرهاب السطو، والنهب، والاعتداء على الممتلكات، وترويع الناس، والتضييق على الحريات.

٢. إرهاب مشروع: وهو ما شرعه الله للمسلمين للدفاع عن أنفسهم وردع أعدائهم، كما جاء في قوله تعالى: 'وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم'.[19]

هذا هو المفهوم الحقيقي للإرهاب، وفيما يلي قصيدة سباعية لعيسى أبيبكر ألبي في التنديد بالإرهاب والإرهابيين بعنوان "الإرهابيون"

قذفوا الرّعب في قلـــوب العبـــاد وأســالوا الدمــاء في كـــل واد

كيف تــحقيـــق ما يرومون بالإر ـهاب أو هدم سور أمن البلــاد

إن ما لا ينـــال بالسلم قـد يصـ ـعب إحــرازه بغــارات عـــاد

أي شيء يـــا قوم أغلى من النفـ ـس الــتي يزهقــونــها بفساد

أي دين دعا إلى العنف والتمـــ ـثيل بالأبريـــــا لنيل الــمـــــراد

قاتــل الله من يشجّع في كـــ ـل مكــان تشـــدد الأوغـــــاد

إن إرهابــهــم يفيـد عـــــدوّ الله من قبـــل ضَـــيره للعبـــاد[20]

أبرز الشاعر في وصفه للإرهابيين مدى تأثيرهم السلبي على المجتمع، إذ نشروا الخوف بين الناس وأشاعوا الفوضى من خلال سفك دماء الأبرياء دون وجه حق. كما أشار إلى أن النفس البشرية تُعدّ أثمن ما في الحياة وفقًا لجميع الأديان السماوية..." كما دعا الشاعر إلى اعتماد الحوار والرفق وسيلة للمطالبة بالحقوق بدلًا من اللجوء إلى العنف والإرهاب، اللذين لا يؤديان إلا إلى مزيد من الاضطراب وعدم الاستقرار. واستشهد بقول النبي صلى الله عليه وسلم: 'إن الرفق لا يكون في شيء إلا زانه، ولا يُنزع من شيء إلا شانه'. كما توجه بالدعاء ضد كل من يثير الفتن ويشعل نيران الحروب، محذرًا من عواقب أفعالهم الوخيمة. وقد استشهد الشاعر في تحذيره من الفتنة والفساد بقول الله تعالى: 'إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِنْ خِلَافٍ أَوْ يُنفَوْا مِنَ الْأَرْضِ' (المائدة: ٣٣)، مشيرًا إلى خطورة نشر الفوضى والتخريب، كما استدل بالآية الكريمة: 'وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً'، في تأكيده على أن الفتن لا تصيب الظالمين وحدهم، بل يعم ضررها المجتمع كله."

في البيت الثاني، استخدم الشاعر أسلوب الاستفهام بغرض نفي إمكانية تحقيق المعتدين لأهدافهم من خلال عدوانهم. أما الاستفهام في البيت الرابع، فجاء لتقرير حقيقة محددة، بينما ورد في البيت الخامس للنفي، مما يعكس تنوع استخدام الاستفهام في خدمة المعاني البلاغية المختلفة"في البيت الثاني، استخدم الشاعر أسلوب الاستفهام بغرض نفي إمكانية تحقيق المعتدين لأهدافهم من خلال عدوانهم. أما الاستفهام في البيت الرابع، فجاء

لتقرير حقيقة محددة، بينما ورد في البيت الخامس للنفي، مما يعكس تنوع استخدام الاستفهام في خدمة المعاني البلاغية المختلفة. أما البيت الثالث، فقد جاء معبرًا عن فكرة ذات قيمة بلاغية عالية، مما يجعله مماثلًا لأمثال يوروبا الشهيرة في تأثيره وحكمته.

وفيما يلي سباعية أخرى كُتبت في ذكرى أحداث ١١ سبتمبر ٢٠٠١م، والتي تعدّ واحدة من أبرز الهجمات الإرهابية التي شهدتها الولايات المتحدة. وقعت هذه الأحداث يوم الثلاثاء الموافق ١١ سبتمبر ٢٠٠١م، حيث تم اختطاف أربع طائرات مدنية وتحويل مسارها للاصطدام بأهداف محددة، مما أسفر عن سقوط آلاف الضحايا والمصابين. في هذه الهجمات، تم اختطاف أربع طائرات مدنية وتحويل مسارها لاستهداف مواقع حيوية، حيث نجحت ثلاث منها في إصابة أهدافها. وكان أبرز هذه الأهداف برجا مركز التجارة العالمي في مانهاتن، إضافة إلى مقر وزارة الدفاع الأمريكية (البنتاجون). وأسفرت هذه الهجمات عن مقتل ٢٩٧٣ شخصًا، وفقدان ٢٤ آخرين، فضلًا عن آلاف الجرحى الذين أصيبوا بسبب استنشاق الدخان والأبخرة السامة الناتجة عن الحرائق.[21]

حادثة روّعت العـــــالـــــما　　خـــــوّفت الجُهّال والعــالما

والشــر قد كشّـــــــر أنيـــابه　　فالْتَهَم الظالم والراحـــــــما

نائبــة من همّه وصفهايخونه　　بيانـــــــــه راغـــــــمـــــا

سبتــمبر الأســـود شهر غــدا　　يــذكُره عـــالَمنا نـــــــاقما

من يرحــم البيض فقد هالهم　　ما شيب الشيخون والناعما؟

أرثـــي لهم لأنـــــــني شاعر　　لا يقبل الإرهـــاب والظالــما

إني امـــــــرؤ ذو مِـقَة قلبه　　رق ويَهمِي دمعـــه ساجــما[22]

في الأبيات الأربعة الأولى، وصف الشاعر هذه الحادثة على أنها مأساة عالمية ذات فداحة غير مسبوقة، جعلت الجاهل والعالم على حد سواء يعيش حالة من الخوف والذهول. كما أصابت العقول بالحيرة أمام هذا اليوم المشؤوم، الذي شهد أحداثًا مأساوية ستظل آثارها محفورة في الذاكرة الجماعية وربما تستمر لعقود قادمة. أما في الأبيات الثلاثة الأخيرة، فقد حاول الشاعر تقديم رؤية متوازنة للأحداث، حيث عبّر عن مشاعر التعاطف مع الضحايا الأمريكيين، لما حلّ بهم من فاجعة مروعة تفوق الوصف، حتى ليكاد هولها يُشيب الولدان.

ولعل ما زاد من وقع الصدمة على الأمريكيين هو أن الهجوم وقع داخل أراضيهم، في قلب دولتهم القوية، وعلى يد مجموعات صغيرة لم يكن لها وجود بارز على الساحة قبل ذلك افتتح الشاعر قصيدته بأسلوب التصريع، مما أضفى عليها جمالية إيقاعية. كما استخدم في البيت الثاني استعارة مكنية، حيث صوّر الشر بحيوان مفترس، واكتفى بالإشارة إلى إحدى صفاته المخيفة، وهي 'كشر أنيابه'، مما يعزز الإيحاء بشراسته وخطورته".

كما كتب الشاعر سباعية أخرى بعنوان 'رسالة من غوانتانامو'، على لسان السجناء الذين وُجهت إليهم تهم الإرهاب. وفيها يصوّر ما يعانونه من ظلم وقسوة داخل السجن، ويجسد معاناتهم اليومية وما يكابدونه من آلام وشدائد:

قيّدونا في السجن مثل القرود ونسونا نَئِـنّ تحت الحديـد

إن (غوانتـــانمو) لشرُّ مكانٍ لصنوف التعذيب والتنكيد[24]

ومن بين الشعراء الذين كتبوا قصائد للدفاع عن الإسلام والردّ على افتراءات الغرب، التي تتهم المسلمين بالإرهاب على مستوى العقيدة واللغة والفكر، الشاعر لقمان نور الدين ألاويي، وذلك في قصيدته التي حملت عنوان 'ضجة الإرهاب, وهي:

إلام عجيج الخوف من غير كـــائن وتعريف معـــــدوم مـن الجبناء

أدرت قريـضي نحو محض حقيقة فأرشـدني عقـــــلي إلى الأشيـاء

نظرت أمور الكون طردا وعكسـها فحِرْت لغوغـــــاء من السُّفهـاء

وسوء مفـاهيم العداء بعصـــرنـا وتـخليط أشـــــياء على البلداء

٥ فكيف أمان الأمس خيفة يومـــــنا ونســـبة إرهـــاب إلى الأمنـاء

فضـجّة إرهـاب حقيـــــقته ولا شرائع إســـــلام لدى الظُّـرفاء

رميت بألقاب لهمي بشـــرعـــتي فصـرت نضـــــالا ماثلا لعـداء

صلاتي تخويف وصـومي مرهب وشرّ الوغى في لحيتي اللمســـاء

إذا قمت ضجّوا إن قعدت فصيحةٌ وإن قـلت قـالوا كلـمة الإغـراء

١٠ كلامِيَ خوفٌ بـل سكوتي أسـوأ فأصبحت يومـي في ذرى الرُّقباء

خـــبرت شــرائع الإلــه لأســرها فأدركتها أَمْنًا لـــدى الســـعداء

فقمت بتطبيق الحقائق معــرضا عن الضّجّة الكبرى مــن الحمقاء

وداعا خيال الطّيف من أهل نهية وهجرا سحيقا من حمى العقلاء[26]

تعبّر القصيدة عن مشاعر الشاعر تجاه الحملة التي يشنها الغرب تحت ذريعة 'الإرهاب'، والتي تهدف إلى تشويه صورة الإسلام وإلصاق التهم بكل من يهتم بأموره. وقد جاءت القصيدة ردًا على هذا التضليل، مؤكدة أن هذه الادعاءات الغربية ليست إلا شكلًا من أشكال الإرهاب الحقيقي الذي يُمارَس ضد الأمة الإسلامية.

في الأبيات (١-٤)، عبّر الشاعر عن استغرابه من موجات الذعر التي تُبث هنا وهناك دون وجود سبب حقيقي يدعو للخوف. ومن منطلق مسؤوليته الاجتماعية كشاعر، رأى أنه من واجبه توضيح الحقيقة وتصحيح المفاهيم المغلوطة التي يروج لها الإعلام، حتى لا ينخدع بها البسطاء من الناس.

وفي البيتين (٥-٦)، يواصل الشاعر استنكاره لنسبة الأعمال الإرهابية إلى المسلمين، مؤكدًا براءتهم منها عبر التاريخ. ويرى أن هذه التهم الملفقة ليست إلا تجسيدًا للإرهاب الحقيقي الذي يمارسه الغرب نفسه ضد المسلمين." ومن البيت السابع حتى نهاية القصيدة، يبيّن الشاعر كيف أصبح التمسك بالشريعة الإسلامية سببًا لاستهداف المسلمين من قِبَل الغرب. ففي نظرهم، الإسلام والجهاد هما المعنى الحقيقي للإرهاب، والمسلم الذي يحافظ على دينه ويجاهد في سبيله هو العدو الأول. وعلى العكس من ذلك، فإن المسلم 'المقبول' لديهم هو من يتبنى موقفًا ضعيفًا ولا يلتزم بشعائر دينه إلا شكليًا."

وظّف الشاعر أسلوب الاستفهام للتعبير عن استغرابه في البيت الخامس، كما في قوله: 'فكيف أمان الأمس خيفة يومنا!'، حيث قارن بين 'أمان' و'خيفة'، وبين 'الأمس' و'يومنا'، مما يعكس المفارقة الزمنية بين الماضي الآمن والحاضر المضطرب. كما استخدم الطباق بين 'قمت' و'قعدت' في البيت التاسع، وبين 'سكوتي' و'كلامي'، وهي أساليب بلاغية ساهمت في إضفاء طابع جمالي على القصيدة وزيادة تأثيرها التعبيري.

وفي السياق ذاته، كتب الشاعر مصلح يوسف المرتضى القروي قصيدة بعنوان 'الإرهاب في الإسلام'، تتألف من ٢١ بيتًا، تناول فيها القضية من منظور مختلف. نقتطف منها الأبيات التالية:

ألـلإرهـاب في الإســـلام دار	أم الإسلام موقـفـــه ضـــــرار
أفي الإسلام إلا ما يـــــــرام	وما يـرجو انتفاع بـــــه الخيار
حوى كل المكارم مـن خصال	تنال بـها السعـــادة والإيـثـار
هو الإسلام يدعو إلى الأمـــان	هو الإسلام شيـــمته الوقـــار
وها في اليوم يقـــذف بالنفاق	وبالإرهاب يطعنه الفجـــــار[27]

في هذه القصيدة، يسعى الشاعر إلى الدفاع عن الإسلام وتبرئته من الاتهامات الباطلة المتعلقة بالإرهاب، والتي يُروّج لها في بعض الدوائر الغربية تمتاز القصيدة بأسلوبها السلس وألفاظها الواضحة، مما يسهل على القارئ فهم معانيها العميقة. وقد أظهر الشاعر براعته في البيت الأول من خلال استخدام التصريع، كما وظّف الاستفهام الإنكاري فيه للتعبير عن رفضه للاتهامات الموجهة ضد الإسلام. أما في البيت الثاني، فقد استخدم الاستفهام للتقرير، مما أضفى على المعنى قوة وإقناعًا.

وفي السياق ذاته، كتب الشاعر عبد الواسع بن عبد السلام الإباجوي قصيدة بعنوان 'صورة الثورات الغربية على البلاد الإسلامية قديمًا وحديثًا'، حيث تناول فيها التدخلات الغربية في العالم الإسلامي عبر التاريخ [28]

بكل الأرض حل الغرب قهـــرا	حلول الغاصبـين القاهريـــــنا
فكم أرض حـرام ملّكوهـــــا	نفـوسهـــــم وليسـوا آهليـنـا
وكـــم دار بأهليها أتـــــوها	بتخـــريب وما هم آثـميـــــنا
وكـم ألغَـوا شريعـتهم بكـيد	بـحـــجة أنهم يتصـالـحونـا
٥ فقـد ألغَـوا شريعتهم وقالـوا	شريعـتكم فضـــول الأقدميـنا

وقالـوا الفقه والقرآن طـــرّا أساطـير القـرون الغـابريـــنا

تجـــارتهم صناعتهم حـــرام فصـاروا للحرام محلّليـــــنـا

طعامهم شـــرابهـم حـــرام فصاروا عن حـــلال يصدفـونا

وصار المسكرات حلال قـــوم وعنهـا –قبل- كانـــوا ينكبونا

١٠ مصاحفهم محرّفة فصـــارت رَمـادا كي يـخـابَ القـارؤونا

وكُتـــبهم يـمـــزِّقها كـلاب وحمـــــر كي يـملّ الكاتبـونا

ومن كتبوا المقـــالة ذات ضوء فمنهم بالصراحة ينقمـــونـــا

بإغـــــراق وإحـــراق وشنق وتـمثـــيل أمـام الـهازئينـــا

لقد وضعوا المحـاكم ذات جور كمـا وضعـوا الذين يفتشـــونا

١٥ فصـار الأهل للـــغُرَباء عبـدا وصار الحكم حـــكم الغالبينا

وكالوا الأهل في كـــل النواحي بكَيـل الجـــور وَيلُ الجائريـنا

ترى الأهلـــين رمـــزا لازدراء لأنهم فقـــــط يتـــنسّكـون

وكم فَقَـــأو عيـــونا عن براء وقـــــالوا للقـذى هم يفقأون

وكـم نـهبوا نســـاءً مؤمنات وما أحد بنـاهي النّاهبيـــــنا

٢٠ وما اخترعوا السياسـة للرعايا لينـتفعوا بـما يتكسبـــــــونا

ولكـــــن لامتلاك واعتـــلاء وقال النـــاس أنتم مصلحـــونا

سَلِ الأَتْـــراك عن سـوء رَواه على أيدي الرجـــال الســـالبينا

فكم ثارت عليهم من جـــديد بُغاة الـرُّوس والمتروّســـــيـنا

وكانوا يذبحـون الـمســـلمينا وصاروا عندهم عجلا ســـمينا

٢٥ جـريدتهـم إذاعتـــهم قـدوم لِـهَدْم الشّرع شرعُ المؤمـــنينا

كـفى عجبا لمـــن سمّوا: أمينا وأحمد: مصطفى أن يخـدعونا

وذا طه وذا توفيـــق مـــن هم لأَلوِيَـة الدِّيـانة رافعـــــونا

فصـــــاروا في يد الأعـداء مالا ليبتاعوا الرّجـــال الـــمهتدينا

فصــار الشِّعر يَقْرِضه رجــال لعُتْبَى الغرب كانوا شاعريـــنا

٣٠ فمــات الدِّين ليس له حيـــــاة لدى الشعراء كي يســـتملكونا

لقنطـــار ولؤلـــؤة وذهـــب يزفّون القصـــــائد طامعينا

وضلّ الدين عن شعر العراقي لنحسبه فرَنسِيًّـا يقيـــــــنا

نفاق الشـــــعر أكبر ما رأينا مصــائبه تهزّ العاقليـــــــنا

وأغرب ما يكون جـــزاء سجن بنســـبة مــا وعاه الحافظونا

٣٥ بقدر الحفظ مقدار ابتلاء الـــ ـــوُعَاة الآي والمستظـــــهرينا

لـــــكي يعلوا على مصر علوّا فكـــــم باشا وبَكْ يتناصرونا

ولو عرف السعوديون كيد الـ أمـــيريكا لولّـــــو مُدبـرينا

فـإنهم أشد النـــــاس حقدا على الإســـلام ما هم غافليـنا

إذا نطـقت أمـــــيريكا بشيء فهل في الكون من يستنكفونا؟

٤٠ لهـــم حق عـلى الأغيـار كانوا إلى تنفيـــــــذه يتعجَّلـــونا

فأيّ الحـق كـان لهم سلـوني مُعاداة الـورى متغلّبيـــــنا [29]

يعرض الشاعر موقف الغرب من العالم الإسلامي، حيث يصور احتلالهم للعديد من البلدان الإسلامية تحت ذرائع باطلة تهدف في حقيقتها إلى نهب الثروات المعدنية والاستيلاء على الممتلكات. ويرى الشاعر أن هذه القوى الاستعمارية لا تحكمها مبادئ عادلة، بل تدفعها أطماعها الاقتصادية والسياسية.

وظّف الشاعر الطباق في البيت الثامن بين 'حلال' و'حرام'، مما عزز التناقض بين المبادئ الأخلاقية والممارسات الاستعمارية. كما كثّف استخدامه لأسلوب الاستفهام بأغراض بلاغية متعددة، مما يعكس تمكنه من أدوات الشعر وقدرته على إيصال فكرته بعمق وتأثير.

يقدم الشاعر تصويرًا نقديًا للثورات الغربية في العالم الإسلامي، حيث يعكس موقف الغرب السلبي تجاه المسلمين. كما يكشف عن مطامعهم وأهدافهم الخفية، التي تتمثل في فرض الهيمنة السياسية والاقتصادية على البلدان الإسلامية.

وفي هذا السياق، كتب الشاعر بقاء هاشم إسماعيل قصيدة مؤلفة من ٣٣ بيتًا بعنوان 'وأرسل عليهم طيرًا أبابيل'، حيث يعالج فيها موضوعًا مشابهًا بأسلوب شعري مميز:

العزّ والذّل في الـميـــــــدان ضدّان وكيف يـجمع ضـدّان بـميـــدان؟

أضحى القويّ ضـــعيفا هل بذا عجب وكلّ شــيء خـــلا الله بفتَّـــــان

كفى بـ "أمريـك" حزنا أن أصابهموا خسر هجـــوما وهم في موج غفلان

لو كان ليلا لقالـــــــــوا متشاسنة وكـــــان بُرهانهم لسنا بيَقْظَان

٥ لكن أتـــــاهم ضحًى ألهـاهمو لعب ما كـــاد ينفعُهم جمعٌ لسَلْحـــان

بكى أشـــــدَّاؤهم ضُعفـاؤهم ندموا وليس ينـفع قَـــطُّ دمْـعُ أجفـان

إذ أرسَـــل الله جَلـدًا بالعـذاب ردى طـيرا أبـابيل ترميهم بخســـران

طارت إلى دارهم بالعـــــزم في غضب تقول تطهير أرض الله أكْفـــاني

تبّت يدا أمريكا أمـرهـــــــــم كَدَر والأمْنُ منتَـــزَع من أرضِـهم وان

١٠ فأين يـــابـان أين الصِّين هل هلَكوا والسيوفيـتي وأتَونِـــي ببرطـان

كانوا ملوكًا زمـــانًا لا ينـــافِسـهم ذوو الشجـاعة لا مِن كل بلْـــدان

فمسّـــــهم ذُلُّ خِزْيٍ بعد عزَّتهـــم باءوا بـــلا أثَـــرٍ في الأرض في الآن

لـمثـــل هذا فتـــوبوا قبل موتكمـو إنّ الـمنِـيَّة تَطـــوي حبل غفـران

نِعـــــمَ الـمجاهد والإخـوان أجمعهم أعني بهم إخوتي في أرض أفغـــاني

١٥ وهم قليلون لكن أخلَصوا فلِـــــــــذا أعانهـــــــــم ربّهم طرًّا بـــإيمان

أضحى أسامة جنـــــدا لا يقاس بـه آلاف جند ولو من أرض برطـــان

أمَـــنْ يقاتِل كي يبقى الحنيف كمن يسعى لإهـــدامه في كل بلـــدان؟

لكل حِـــــزبٍ عـــــــدُوٌّ لا يفارِقه أشَـدّ أعـــداء ديـن الله نصـــراني

وكل شـــــيء له أصلٌ يُطـــــــابقه إن اليهـــود جميعا أصل طغيان

٢٠ أيِّدْ عبـــــــادك يا ربِّـي على الأعـــدا فالـمكر مكرك لكن مكرهم وان[31]

افتتح الشاعر قصيدته بمطلع بديع، حيث عبّر عن استغرابه من التناقض بين العزّ والذل، إذ تُعرف أمريكا عالميًا بأنها في مقدمة الدول من حيث القوة والنفوذ، ولا تزال تفرض سيطرتها على العالم من خلال التحكم بالمنح والمنع. وقد دفع هذا الواقع الشاعر إبراهيم الحجى إلى التعبير عن رؤيته لأمريكا في قصيدة مميزة، نقتطف منها الأبيات التالية:"

نصْحو إذا شـــــــــاءت لنا أمريكا وننام إن شـاءت لنا أمريـــــكا

ما ضـــرَّنا شـــــمسٌ يـدوم غِيابها إن أشرَق الدّولار مـــــن أمريكا

إيـماننا أن القضاء قضـــــــــاؤها مَن ذا يعـارض إنْ قضت أمريكا

ولـهـــــا نَـحـــــجّ وبيتها يحلو لنا فيه الطّـواف على ثَرى أمريـــكا[32]

ما يثير استغراب الشاعر هو أنه، على الرغم مما تمتلكه أمريكا من عدة وعتاد، وما تزخر به من أسلحة مدمرة تشمل الدبابات والقنابل والبنادق، إلا أنها تعرضت لهذه الحادثة المروعة في وضح النهار وأمام أنظار العالم، ولم تُجدِ كل وسائلها الدفاعية نفعًا، فإذا بالقوي يصبح ضعيفًا بين عشية وضحاهاويستشهد الشاعر بقول الله تعالى: 'قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُهُ بَيَاتًا أَوْ نَهَارًا مَاذَا يَسْتَعْجِلُ مِنْهُ الْمُجْرِمُونَ' (يونس: ٥٠)، ليؤكد أن العقاب الإلهي قد يأتي فجأة في أي وقت، دون أن يتمكن أحد من دفعه أو تجنبه، مهما بلغت قوته وعظمته

وقد شبّه الشاعر هذا الحدث المأساوي بما جرى لأصحاب الفيل، الذين أرسل الله عليهم طيرًا أبابيل ترميهم بحجارة من سجيل، فلاقوا مصيرهم المحتوم، حيث جاء هلاكهم من حيث ظنوا أنهم في أوج قوتهم. ثم يدعو الشاعر الأمريكيين إلى الاعتبار بما حلّ بالأمم التي سبقتهم، مثل قوم نوح الذين أغرقهم الطوفان بسبب تكذيبهم للرسل، وفرعون الذي طغى وتجبر فكان مصيره الغرق في البحر. كما يذكّر بما آل إليه حال دول كبرى في العصر الحديث، مثل اليابان والصين والاتحاد السوفيتي وبريطانيا، التي كانت في أوج عظمتها لكنها لم تسلم من سنن التاريخ وتقلبات الأيام، فالأيام دول، والعاقبة لمن يعتبر. وتأكيدًا على أن الأيام دول، وأن الدول مهما بلغت من القوة قد تؤول إلى الضعف، استشهد الشاعر بقول الإمام فخر الدين الرازي:

وكم قد رأينـــــــا من رجـال ودولة فبادُوا جميـــعا مسرعين وزالوا

وكم من جبال قد علت شـــــــرفاتها رجـــال فزالو والجبـــال جبال[33]

يُلاحظ أن الشاعر افتتح قصيدته بأسلوب التصريع، كما وظّف الطباق بين 'العز' و'الذل' في البيت الأول، وبين 'قوي' و'ضعيف' في البيت الثاني، مما عزّز التباين بين القوة والضعف كفكرة محورية في القصيدة. كما ضمّن الشاعر اقتباسين من القرآن الكريم؛ الأول في عجز البيت السابع، حيث قال: 'طيرًا أبابيل ترميهم بخسران'، في إشارة إلى سورة الفيل، والثاني في صدر البيت التاسع بقوله: 'تبت يدا أمريكا أمرهم كدر'، مستلهمًا معنى الآية من سورة المسد. وأخيرًا، استخدم الاستفهام في البيت السابع عشر للتقرير، مما يبرز براعته في توظيف الأساليب البلاغية.".

وفي السياق ذاته، كتب الشاعر قصيدة أخرى بعنوان 'الإرهاب نهج أمريكي'، خصصها للدفاع عن الإسلام والمسلمين في مواجهة الاتهامات الباطلة بالإرهاب. وتتألف القصيدة من ٦٠ بيتًا، نقتطف منها الأبيات التالية:"

الصدق مرّ وليس الـــــكذب في الدين أنحن نسعى ِلأمر ليس في الدّين؟

لا مـــــثل "أمريك" في الإسلام يفتننا ولا يُهدّدنا جيش المجـــــانـين

الجور عند إلـــــــــه الناس موبقة لكنـها لَسبـيلٌ عند صَهيـــوني

وكل من كـــان للإسلام منتـــــميا أو كان يدعو إلى الإنصاف واللِّين

أمثـــــالهم عضُـــــد الإرهاب عندهمو مكرٌ عظيـمٌ منَ القوم الـمَفاتين

الديـــــن يُسر وما الإرهـــاب ملّتـنا سيعـلمون غدًا أصحاب سجّين[34]

يجاهر الشاعر في هذه القصيدة بحقيقة يتغافل عنها الكثيرون بدافع المجاملة للغرب، وهي أن أمريكا قد تبنّت سياسة العداء ضد الإسلام والمسلمين. كما يوضح كيف أن بعض القوى استغلت الظلم والعنف لتحقيق أهدافها الخفية. وقد أبدع الشاعر في توظيف الأساليب البلاغية، حيث استخدم الطباق بين 'الصدق' و'الكذب' في البيت الأول، مما عزّز التباين بين الحقيقة والتضليل. كما تضمّنت نهاية القصيدة اقتباسًا قرآنيًا، حيث قال: 'سيعلمون غدًا أصحاب سجّين'، مستوحياً ذلك من قوله تعالى: 'سيعلمون غدًا من الكذّاب الأشر' (القمر: ٢٦)، في إشارة إلى أن الظلم والافتراء لن يدوم، وأن الحقيقة ستتكشف يومًا ما."

وفي السياق ذاته، كتب الشاعر محمد جامع أسليجو قصيدة بعنوان 'الدين لا الإرهاب'، يردّ فيها على الاتهامات الموجهة إلى الإسلام بالإرهاب، والتي تستخدمها بعض القوى كذريعة لمهاجمته وتشويه صورته. وفيما يلي مقتطف من القصيدة:"

أنَّي أحبِّذ غير شـرع البـــــــــاري والشّرع فينا بالمصالح جـــــار؟

لا أصطفي حكما يخـــــــالف ملّتي فأرى بعَولَـمة أتَت بعَـــــــوار

وتُرَى أميريكا مديرة ســـــــــعيها بالجـور والإرهاب والإخفـــــار

والدين لا الإرهاب مَقصد شـــــــأنه يا ليت قومـي يفهمون غُبـــاري!

مــاذا على إيران والفلبين معـــــــا والأفغانستان من الأقطـــــــار؟

حـــــتى ازدرت بعـــلائها ومقامها وعِراق "بالأغلال يالَلعـــــــار!

فالاتـحـــــــاد العالَـمي إلفُ العَـمَى في منتهى الإرهاب للإضـــــرار[36]

يعلن الشاعر براءته من دعاوى العولمة الجائرة والاتهامات الباطلة بالإرهاب، التي تستخدمها أمريكا ذريعة لاستهداف المسلمين وشنّ حملات عدائية ضدهمكما ندد الشاعر بانحياز منظمة الأمم المتحدة وتجاهلها للحقائق، إذ يرى أنها تخضع لإملاءات القوى الدولية بدلاً من تحقيق العدالة. وقد شبهها بجمع من العميان، نظرًا لتغاضيها عن جرائم أمريكا

وإسرائيل ضد الإنسانية. وفي مقابل هذا الواقع، يؤكد الشاعر تجديد عهده وولائه للشريعة الإسلامية، متمسكًا بتعاليمها وقيمها السامية التي تدعو إلى العدل والرحمة والتسامح، في مواجهة الظلم والاستبداد الدولي.

الغزو الفكري في الشعر الاجتماعي العالمي في بلاد يوربا

يعد الغزو الفكري أحد أخطر التحديات التي تواجهها الأمم، حيث يسعى الأقوياء إلى فرض سيطرتهم الفكرية على الشعوب المستضعفة، مما يمكنهم من التحكم في مواردها والتأثير على قراراتها ومصيرها فالغزو الفكري له عدة تعريفات ذكرها العلماء والباحثون من أهمها:

أ- عرّفه الشيخ عبد الرحمن حبنكة الميداني فقال: "الغزو الفكري عنوان أطلق في الثلث الأخير من القرن الرابع عشر الهجري الموافق للثلث الثالث من القرن العشرين الميلادي،على المحططات والأعمال الفكرية، والتثقيفية، والتدريبية، والتربوية، والتوجيهية، وسائر وسائل التأثير النفسي والخلقي والتوجه السلوكي الفردي والاجتماعي، التي تقوم بها المنظمات والمؤسسات الدولية والشعبية من أعداء الإسلام والمسلمين، بغية تحويل المسلمين عن دينهم تحويلا كليا أو جزئيا، وتجزئتهم وتمزيق وحدتهم، وتقطيع روابطهم الاجتماعية، وإضعاف قوتهم لاستعمارهم فكريا ونفسيا، ثم استعمارهم سياسيا وعسكريا واقتصاديا، استعمارا مباشرا أو غير مباشر"[37]

ويتميز هذا التعريف بشموليته، حيث يتناول وسائل الغزو الفكري، وأهدافه، والفترة التي بدأ فيها انتشاره بشكل واضح.

ب- "أما محمد قطب، فقد ركّز في تعريفه على الهدف الأساسي للغزو الفكري، حيث اعتبره مجموعة من الوسائل غير العسكرية التي تهدف إلى طمس معالم الحياة الإسلامية، وإبعاد المسلمين عن التمسك بدينهم، سواء في العقيدة أو في القيم والتقاليد أو أنماط السلوك [38]

ج- وعرفه الشيخ سعيد برايك تعريفا عاما، لم يحدد فيه أصحاب الغزو الفكري، بل ذكر هدفهم الرئيس وهو تدمير الأمة المسلمة والقيم والأخلاق فقال بأن مصطلح الغزو الفكري يعني "الإغارة على أمة من الأمم إغارة ثقافية بأسلحة فكرية ، للهيمنة على

عقول أفرادها وزعزعة الثوابت التي ينطلقون منها والتشويش على أفهامهم مما يدمر قواها الداخلية ، ويحطم مقوماتها".[39]

أما الدكتور صالح رقب، فقد قدّم تعريفًا أكثر شمولية للغزو الفكري، حيث ركّز على آثاره المباشرة على المجتمعات الإسلامية. فقد اعتبره وسيلة تهدف إلى تغيير أوضاع المسلمين السياسية والاجتماعية والثقافية والاقتصادية من خلال السيطرة على قلوبهم وعقولهم. ويؤدي هذا الغزو إلى جعل المجتمعات المستهدفة مسلوبة الإرادة ومنهزمة نفسيًا، مما يجعلها تخضع بشكل تام لقادة الغزو دون مقاومة، بل قد يصل الأمر إلى تقليدهم بحب وإعجاب، ظنًا منهم أنهم أصحاب التقدم والرقي.[40]

من خلال التعريفات السابقة، يتضح أن الغزو الفكري أصبح جزءًا من استراتيجيات القوى الاستعمارية، التي استبدلت استعمار الأراضي باستعمار العقول والقلوب. فعندما تنجح هذه القوى في التأثير على الفكر والثقافة، يصبح فرض السيطرة السياسية والعسكرية والاقتصادية أكثر سهولة.".

"أما أدوات هذا الغزو، فتشمل الأفكار والكلمات والرؤى والمفاهيم، إضافة إلى الحيل والنظريات المغلوطة والشبهات. كما يعتمد على قوة الإقناع، وبراعة العرض، وشدة الجدل، وتحريف الحقائق، وهي أسلحة لا تقل خطورة عن الأسلحة العسكرية التقليدية[41]

والفرق بين الغزو الفكري، والغزو العسكري: أن الغزو العسكري يأتي للقهر وتحقيق أهداف استعمارية، دون رغبة الشعوب المستعمرة، أما الغزو الفكري فهو لتصفية العقول، والأفهام، لتكون تابعة للغازي. ولذا، فهو أشد فتكاً وضرراً من الغزو العسكري لأن الأمة المهزومة فكرياً ، تنقاد إلى غازيها طواعية ، وتسلم رقبتها إلى جزارها عن رضا وقناعة بل وعن حب ومودة ، دون أن تفكر بالتمرد أو تسعى في سبيل الخلاص.[42]

وخلاصة القول، أن الغزو الفكري داء خفي يفتك بالأمم دون أن تشعر، فيطمس هويتها ويضعف شخصيتها، ويجعلها تفقد مقوماتها الأصيلة. وهذا ما أدركه بعض الشعراء في بلاد يوربا، فقاموا بالتنبيه إلى مخاطره وتحذير مجتمعاتهم منه. ومن أبرز القصائد التي عالجت هذا الموضوع، قصيدة للشاعر عبد الوهاب بن عبد السلام الإباجوي بعنوان 'مجاراة الغرب'، التي تسلط الضوء على مختلف أشكال الغزو الفكري التي ما زال الغرب يمارسها ضد الشعوب المسلمة.[43]

ولعل هذا ما تفطن إليه بعض الشعراء في بلاد يوربا فقرضوا الشعر تنبيها لقومهم وإنذارا، فقد أعذر من أنذر. ومن النماذج المعثورة عليها في هذا الشأن قصيدة للشاعر عبد الوهاب بن عبد السلام الإباجوي،[44] أسماها "مجاراة الغرب" يذكر الصور المختلفة التي غزانا وما زال يغزونا الغرب فكريا خلالها. والقصيدة كالآتية:

نُـجاري الغرب في كلّ النّـواحي وأيْمُ الله إنّا خـــــاطئـونـــــا
ومنَّــا مَــن يـُحبّ الـموت إنْ ما ت ذا الغربيّ أو أضحى سَجيــنا
وهــذا الغرب في قلَق غـــــريقٌ يُرَجِّي فيه عَون الُـمنقذيـــــــنا
وينبُذ ما رآه الأمْـــس خـــــيرا ليَنفُذَ مِن شماتة شامتيـــــــنا
٥ ونرجـــو نحن في حُمـــق وجهل مَقام الغرب والُمتغـــرّبيـــــنا
وكـــــان الكَبش ليس له جناح وما للطّـــير قَرنٌ فافهـمونـــا
لهم دنيا وليـــــس لهم معاد ونرجـــو نـحن دار المتّقيـــنا
لـجنّـــــــتهم طعام أو مَتاع لنيلـهما غَـــــدَو يتكالبـــونا
وبعد الـموت ليس لهم مصـــير ســـوى نـار مَقَرِّ الـمذنبيـــنا
١٠ ثقافتهم تذكّر شكـــــل أنثى لتَفتِن باختيـــال المحصنـينا
ثقافتهم تؤنّث شكل رَجـــــل ليَهتِك دار كـــلّ الحيّيـــــينا
مُـمَيِّـلة أمام النّاس خَـــــدّا كأنّ الدّهـــــر دهر الـمرجفينا
تـرى الإسراف في لبس وسُكنى بمَغـرَمه يمـــوت العائشـــونا
ترى الإســـــراف في كُفن ودَفن تضـيق به صـدور المقـــبرينا
١٥ يصـــير الأهـل والإخـوان طـرّا أمـام فَقيـدهم مـــــتراقصينا
شريعتـهم تقـوم على تَضـــاد مـــــن الإسلام أنّـى يُبصرونا
وما لُمنا حضـــارتهم بحـــرف وما لُمنا الرّجال النـــــافعيـنا

ولـــــــكن رُمت تنبـــيه البرايا إلى هِجـــــران شأن الـمجرمينا

لِتقنِـــــــية إذا كُسـيت حيـــاءا سيشكر واضعــيها الشــاكرونا

٢٠ وإن كُسيَت كِســـاءً من بـــداء سيلعن واضعـــيها اللّاعنـــونا

إذا صلحت حضـــارتهم صلاحا فكـــلّ النّاس طوعا يصلحونا

إذا طلحت حضــارتهم طـــلاحا فكـــلّ النّاس كُرهًا يطلحــونا

لقد سبقـــوا لُلك الأرض سَبْقًا وغـــزو الجوّ هل هم يذكرونا؟

بأنّ الفضـــــــل مِن ربّ البرايا وإن ذكروا فهل هم يشــكرونا [45]

أشار الشاعر إلى أن الغزو الفكري شتّت المسلمين، وجعلهم يتبعون الغرب في مختلف جوانب حياتهم، سواء الدينية أو الاجتماعية أو السياسية أو الاقتصادية أو الأخلاقية. ويرى أن هذا التقليد الأعمى من أكبر الأخطاء التي تواجه الأمة الإسلامية اليوم.". إن الغرب نفسه يعاني من مشكلات عديدة لم يجد لها حلولًا ناجعة، فلماذا يُنسب إليه الكمال والمثالية، ولماذا نلجأ إليه في البحث عن حلول لمشكلاتنا، رغم أن الفارق بيننا وبينهم شاسع، وخاصة في الجانب العقائديإن كان الغرب يعمل لتحقيق المصالح الدنيوية فقط، فإن المسلمين يسعون إلى تحقيق التوازن بين متطلبات الدنيا والآخرة، كما جاء في قوله تعالى: 'وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا...' (القصص: ٧٧)، مما يدل على شمولية النظرة الإسلامية للحياة. فإن لكلٍّ مميزاته، فمن الغزو الفكري "أن تتبنى أمة من الأمم - وبخاصة الأمة الإسلامية – معتقدات وأفكارا لأمة أخرى من الأمم الكبيرة – وهي غير إسلامية دائما – دون نظر فاحص وتأمل دقيق لما يترتب على ذلك التبنى من ضياع لحاضر الأمة الإسلامية - في أي قطر من أقطارها – وتبديد لمستقبلها، فضلا عما فيه من صرفها عن منهجها وكتابها وسنة رسولها، إذ لا يوجد مذهب سياسي أو اقتصادي أو اجتماعي يغني الأمة الإسلامية عن منهجها الإلهي، ونظامها الشامل المتكامل في كل زمان ومكان" [46]

من أبرز مظاهر التقليد الأعمى لعادات الغرب التي رفضها الإسلام، تشبّه الرجال بالنساء، والذي ورد النهي عنه في النصوص الشرعية. كما تشمل هذه الظاهرة الإسراف في الملبس والمسكن والمأكل والمشرب، والمبالغة في الترف، إضافة إلى التكبر والاختيال في المشي، وهي

أمور اعتبرها الإسلام خروجًا عن الاعتدال والتوازن في السلوك. يرى الشاعر أن هذه العادات والتقاليد تعدّ من أشكال الغزو الفكري، حيث تفرض الأمة الغازية قيمها وأخلاقها على الأمة المغزوة، مما يؤدي إلى طمس هويتها الأصلية. وبما أن الأخلاق تمثل المعيار الأساسي الذي يُقاس به تماسك أي أمة، فإنه من الضروري أن تكون هذه الأخلاق مستمدة من القيم الأصيلة التي تحكم المجتمع وتوجه سلوكه.[47]

ويؤكد الشاعر أنه حينما يحذر المسلمين من التبعية والتقليد الأعمى للغرب، فإنه لا يعني بذلك رفض كل ما يتعلق بالحضارة الغربية، بل يعترف بأن لها جوانب نافعة، خاصة في المجال التكنولوجي. ومن الإنصاف الاعتراف بفضل كل من يساهم في تقدم البشرية، وفقًا لما قاله محمد بن عبد الملك بن عبد الحميد:":

إذا أفادك إنسان بفائدة من العلوم فلازم شكره أبدا [48]

ومن أبرز القصائد التي تناولت هذا الموضوع، قصيدة الشاعر الحسن بن عبد الرشيد هدية الله، التي كتبها تحذيرًا لشعبه النيجيري بمناسبة الاحتفال بالعيد الخمسين للاستقلال. ويوضح الشاعر فيها أن نيجيريا، رغم حصولها على الاستقلال الرسمي، لا تزال تعاني من الغزو الفكري نتيجة لمخططات استعمارية طويلة الأمد أثرت على مختلف الجوانب الاجتماعية والسياسية والعسكرية والاقتصادية والثقافية. وقد حملت القصيدة عنوان 'استعمار آخر':

وحرّرنا الّذين استعـــــبدونا وغـــير الله كَـــــــم هم عبّــدونا

ومـا إن أطلـــقوا الأغلال حتى ضربنا الطَّبـــــــــل فالـماضي نسينا

رقَصنا حائرين كأن جُنِنَّـــــا وليت القوم قومـــــي مبصـــــرونـا

لقد طبع الحـبور قلوب قومي وهم في جهلهم مستغرقـــــونـــــا

٥ تـحـررنا وتبـقى فـي حبـال تفـــاكيـر وقلـــــــنا حـــــرّرونا

نعم قـد حـــــرّرونا من قديم ولســـــــنا لحظة متحـرّريـــــنـا

أمـــــا أفـــكارنا مستعمرات ونـحن بذا إذا مستـــــعمـــــرونا

ألا في الجاهلـــــية نام قومي وقـــلت مـــــــتى هم يستيقظونا؟

ولـمّا ســـاد ظلم النّـاس قلنا أقَـــد رجع الّذيـن استعمـــرونا؟

ويســألنا الرشا الشرطي دومًا رجـال الأمـن ما هـــم أمّنـــــونا

وإنهم اللـــصوص ولا عجيب وقُطّـــاع الطّريق الـمرهبـــونا

تفانى الـــشعب في لعب ولهو على الـفانـــــــي وقد يتخاصمونا

بـــبلدتنا يموت الـمرء جوعا وســـادتنا همُ الـمتنعِّمـــــونا

وكلّهم الأنـــانيون ربِّـــي على الفقـــراء ليسـوا يُشـفقونا

شهدت وأشـــهد الرحمن ربي بأن جميعـــهم قـــد أفســـدونا

فنيـجريـــا البريئة مـن فساد ولو يـــــأوي إليها المفســـدونا

تُعَـــدّ بـــــلادنا أغنى بـلاد ونعلم والأجانب يعلمـــــــونا[50]

عبّر الشاعر عن قلقه العميق تجاه الأوضاع في بلاده، حيث يرى أن العقول لا تزال خاضعة للاستعمار الفكري، رغم مرور سنوات على التحرر الجغرافي من قبضة المستعمرين.

خاتمة

وقد ركّز البحث على إبراز الرسالة الاجتماعية لهذا الشعر، متناولًا مواقف الشعراء من القضايا الاجتماعية العالمية، مثل ظاهرة الإرهاب العالمي والغزو الفكري الغربي. وقد ركّز البحث على إبراز الرسالة الاجتماعية لهذا الشعر، متناولًا مواقف الشعراء من القضايا الاجتماعية العالمية، مثل ظاهرة الإرهاب العالمي والغزو الفكري الغربي. كما تناول البحث دراسة تحليلية لبعض قصائد العولمة المختارة، مع التركيز على العناصر التالية: التصوير الشعري والخيال، الملامح البلاغية، أساليب الافتتاح والاختتام، أثر القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف، اختيار المفردات المناسبة، والتوظيف الفني للون المحلي

وفي ختام البحث، توصل الباحث إلى النتائج التالية:

١) يؤمن شعراء بلاد يوربا بأن للقصيدة رسالة اجتماعية، لذا أكثروا تناول القيم الاجتماعية في مختلف أغراضهم الشعرية من الوعظ والإرشاد ومدح المحسن والفخر وغير ذلك.

٢) يعكس تطور الشعر في بلاد يوربا مدى تنوع موضوعاته الاجتماعية، إذ كان تقليديًا لدى الشيوخ، لكنه شهد تحولًا مع الأجيال الشابة، التي جعلته أكثر تعبيرًا عن روح العصر الحديث، مستجيبًا لمتغيرات الحياة ومؤثرًا في المشاعر. وبهذا، تتجدد الرؤية الفنية لهذا الشعر، في سعيه لإثبات مكانته بين الآداب العالمية.".

٣) ازدهر الشعر الوقائعي لدى الشعراء الجدد أمثال عيسى ألبي أبوبكر و موسى عبد السلام أبيكن وعبد الرحمن عبد العزيز الزكوي وجمعة أريبي وسعيد إبراهيم أولاومي وعلي عبد الرزاق أبولاجي ورضوان الله إبراهيم أولاغنجو وعبد العزيز السلمان الإلوري وداود عبد الباقي وبقاء هاشم إسماعيل وحامد محمود إبراهيم الهجري ومحمد الجامع سعد الله عبد الكريم أسليجو وعبد الوهاب الإباجوي وغيرهم.

٤) إن ثراء لغة اليوربا بالأساليب البلاغية أتاح للشعراء توظيف مختلف فنون البلاغة العربية في أشعارهم، مما جعلها زاخرة بأمثلة رائعة من الأساليب البيانية والبديعية المستوحاة من البلاغة العربية.".

٥) لا شك أن الإسلام أثّر في هذا الشعر بدرجة أولى، حتى ظهرت بصمات الألفاظ الدينية في جميع أغراض الشعر وإن كان شعر بعضهم يتبعد عن هذه الخاصية أحيانا.

ويوصي البحث بضرورة أن يواصل شعراء العربية في بلاد يوربا التعبير عن تجاربهم الشخصية وظروفهم الاجتماعية من خلال إنتاجهم الشعري، مع تجنب التقليد الأعمى للشعراء القدماء. كما ينبغي لهم التفاعل المستمر مع الأدوات المعاصرة للعولمة، والاستفادة مما تبثه من أفكار وقيم وعادات جديدة، مع الحفاظ على هويتهم الأدبية، وذلك لضمان مواكبة التطورات الأدبية العالمية.

الهوامش والمراجع

Abu Bakar, I. A. (t.t.). Karya yang dirujuk dalam kajian. [Maklumat penerbitan tidak dinyatakan].

Al-Ibajawi, A. W. A. S. (2002). Afa‘i al-gharb aw gharb al-afa‘i [Ular-ular Barat atau Baratnya ular-ular]. Al-Manhal.

Al-Maidani, A. R. H. (1994). Ajnīḥat al-makr al-thalāthah wa khawāfīhā (Edisi ke-7). Dar al-Qalam.

Al-Naisaburi, M. ibn al-Hajjaj. (t.t.). Al-Jami‘ al-Sahih. Dar al-Jil & Dar al-Afaq al-Jadidah.

Al-Qarawi, M. Y. A. (2005). Al-Baniniyyat. Institut Bahasa Arab dan Kebudayaan Islam, Universiti Abomey-Calavi.

Al-Raqab, S. H. (1998). Hadir al-‘alam al-Islami wa al-ghazw al-fikri. Matba‘ah al-Rantisi.

Al-Sa‘id, A. S. F. (1981). Al-ghazw al-fikri wa al-tayyarat al-mu‘adiyah li al-Islam. Idarat al-Thaqafah wa al-Nashr, Universiti Imam Muhammad bin Saud al-Islamiyyah.

Bibawi, N. L. (2002). Al-irhab sina‘ah ghayr Islamiyyah. Dar al-Bibawi li al-Nashr.

Dekan Penyelidikan Saintifik Universiti Islam. (t.t.). Al-adab wa al-nusus: Muqarrar al-thalith al-thanawi (al-funun al-nathriyyah). Universiti Islam.

Encarta. (t.t.). Social phenomenon. Microsoft Encarta.

Fazazi, A. F. H. (1998). Al-mukhtarat min al-aghrad al-shi‘riyyah al-‘Arabiyyah li-‘ulama’ madinat Ibadan [Tesis Sarjana, Universiti Ilorin].

Ghaladanchi, S. A. (1994). Harakat al-lughah al-‘Arabiyyah wa adabuha fi Nijiriyya (Edisi ke-2). Syarikat al-Aikan li al-Tiba‘ah wa al-Nashr.

Hidayatullah, A. R. (2010). Qasidah makhtutah fi maktabat al-sha‘ir [Manuskrip tidak diterbitkan].

Islāmweb. (t.t.). Hadith display.

Mahfuz, M. (2007, 5 Jun). Al-zawahir al-ijtima‘iyyah bayna al-maw‘izah wa al-bahth al-‘ilmi. Al-Riyadh.

Mutbaqani, M. S. (2005). Al-gharb min al-dakhil: Dirasat li al-zawahir al-ijtima‘iyyah (Edisi ke-2).

Oloyede, M. A. (1989). A thematic and stylistic study of Arabic poetry in Ibadan (1876–1976) [Doctoral dissertation, University of Ibadan].

Qutb, M. (1986). Waqi‘una al-mu‘asir. Mu’assasat al-Madinah.

Saad Al-Buraik. (t.t.). Artikel berkaitan pemikiran Islam.

Saaid.net. (t.t.). Ma‘na al-irhab wa haqiqatuh.

Wikipedia Bahasa Arab. (t.t.). Mu‘taqal Guantanamo.

“Al-Harah al-‘Umaniyyah”. (2014).

“Tatawwur al-shi‘r al-siyasi wa khasa’isuh”. (2012).

501 Most Devastating Disasters. (2010). Bounty Books.